طالبة دكتوراه : فضيلة شبابحة
جامعة محمد بوضياف – المسيلة–

الهوية في الفكر السياسي

الملخص:

يشغل موضوع الهوية حيزا غير قليل في الثقافة والفكر وفي دراسات علوم السياسة والقانون والاجتماع، وخصوصا في ظل الجدل الذي ارتفعت وتيرته منذ ما يزيد عن ربع قرن تقريبا، سواء على المستوى الداخلي أو المستوى الدولي في إطار مجتمعات متعددة التكوينات والهويات أو في إطار احتدامات لمصالح دولية وإقليمية.

لذا تعرض هذه الدراسة موضوع الهوية في إطارها المفاهيمي، وكما تتطرق إلى أنواع الهويات المتعددة (الهوية الثقافية، التاريخية، السياسية، الدينية، الشخصية والجماعية).

الكلمات المفتاحية: الهوية–الفكر السياسي.

Abstract:

The subject of identity occupies a considerable role in culture and thought and in the studies of political science, law and society, especially in light of the controversy that has been rising for more than a quarter of a century, both at the internal and international levels within multiple societies and identities or in the context of international conflicts and regional.

This study presents the subject of identity in its conceptual framework, as well as the various identities (cultural, historical, political, religious, personal and collective identity).

Keywords: The identity – The political thought.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

اجتهد الكثير من علماء الفكر السياسي والباحثين في تعريف الهوية دون تباين كبير، وخصوصا في ظل الجدل الذي ارتفعت وتيرته منذ ما يزيد عن ربع قرن تقريبا، سواء على المستوى الداخلي أو الدولي، واجمعوا على أنها حقيقة الشيء أو الشخص المطلق التي تشمل صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره، وأنها القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات التي تميز أمة عن غيرها من الأمم وتجعل للشخصية القومية لهذه الأمة طابعا تتميز به عن غيرها من الأمم تستمده من الدين واللغة والتاريخ والتراث المشترك، ووحدة الأصل والمصير والوحدة السياسية والبيئية لهذه الأمة.[1]

وثمة تعريفات وتفصيلات عديدة ومتنوعة تبحث في معنى الهوية، خصوصا إذا اعترفنا بأن الهوية لا تعد منجزا مكتملا، أي ليس لها نزوع مقدس، فهي في حالة من التطور والتغيير، وخصوصا بالتفاعل مع الآخر، ومثل تلك العلاقة التفاعلية – التبادلية مع الغير هي إثراء للهوية ذاتها، وليس إلغاء لها وهو ما يذهب إليه "هول ستيوارت" الذي يعتبر الهوية في حالة تحول دائم، فهي ليست معطى منجزا متكاملا لا ينتهي[2].

لعل السؤال الذي يواجه البشر منذ الخليقة فرديا وجماعيا: من أنا أو من نحن؟ ثم يستكمل هذا السؤال من خلال أسئلة أخرى تتعلق بالعمل والمشروع، الذي يمثله الإنسان، نشأة وانتماء كمعطى أول، وفيما بعد عملا وصيرورة، كمعطىً ثان. الأول سيكون معطى دون خيار، أما الثاني فهو خيار أي أنه تفضيل بين خيارات، وبالتالي سيكون خيارا واعيا ومكتسبا، من خلال وعي وعملية خلق. وإذا كان الأول طبيعيا، فإن الثاني يعبر عن الإرادة البشرية التدخل الإنساني لإكساب الهوية شكلا جديدا مفتوحا قابلا للتطور.

أولا: التأصيل المفاهيمي والتاريخي للهوية

1. **تأصيل الهوية من حيث المآل والمنشأ:**من حيث المنشأ، هناك نص لـ "**الفارابي**" في كتابه 'الحروف'، يوضح فيه منشأ مفهوم الهوية بأنها جاءت من كلمة 'هست' الفارسية و'إستين' اليونانية، والتي تعني الوجود في عمومه. وقد أشار إلى أنه لا توجد في العربية منذ أول وضعها لفظة تقوم مقام 'هست' في الفارسية، ولا مقام 'إستين' في اليونانية، ولا نظائر لهاتين اللفظتين في سائر الألسنة. ويوضح أن هذا المفهوم تبين في تصور العرب عندما انتقلت الفلسفة إليهم وأرادوا أن يجعلوا عبارتهم التي في الفلسفة وفي المنطق بلسان العرب فتصوروا أن يستعملوا لفظة 'هو' مكان 'هست' الفارسية، و'إستين' اليونانية؛ لذلك فهذه اللفظة استعملت في العربية كناية عمن يفعل الفعل في مثل قولهم: 'هو يفعل'، و'هو فعل'؛ وربما استعملوا 'هو' في العربية في بعض الأمكنة التي يستعمل فيها سائر أهل الألسنة تلك اللفظة المذكورة؛ وذلك مثل قولنا:

[1] عصام، محمد عبد الشافي (2003)، **الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي (1990-2000)** :(رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مصر.

[2] عبد الحسين شعبان، الهوية والمواطنة البدائل المتلبسة والحداثة المتعثرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2017، ص 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

'هذا هو زيد'، فإن لفظة 'هو' بعيد جدا في العربية أن يكون قد استعملوها ها هنا كناية، وأشباه ذلك، وجعلوا المصدر منها (الهوية) فالإنسانية من الإنسان. هذا من حيث منشأ المفهوم. كما يتصور "الفارابي"؛ أما ما آل إليه المفهوم من ترحال وتعامل في المعنى الخاص والعام، فيتصور أنه قد استعمل قوم كلمة الموجود مكان 'هو'، والموجود مكان 'الهوية'، وأيضا استعملوا وجد ويوجد وسيوجد مكان كان ويكون وسيكون. وعن تصوره لهذا المفهوم يقول: وأما الكاتب، فهو يرى أن الإنسان له أن يستعمل أيهما شاء، ولكن عند استعمال لفظة 'هو' فينبغي أن تستعمل على أنها اسم لا أداة، والهوية المصدر المعمول الآخر.

في حين أن تعريف "**الفارابي**" كان يعتبر أن هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد كلها واحد، أما عن معنى: 'هو' فتدل إلى هويته، وخصوصيته، ووجوده المنفرد الذي لا يقع فيه اشتراك. أما أبو "**يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي**" فتدبر لفظها، وصرفها بلفظة التهوَى أي صيرورة الشيء 'أي كيف يصير الشيء'. وإذا انتقلنا من قول الفارابي لمفهوم هذا اللفظ الذي كان يعني: الوجود في عمومه، ثم خصص لمن يقوم بفعل الشيء 'هو يفعل'، كما خصصت أيضا 'هو' للموجود، والهوية للوجود، ووقف الكاتب عن التصور المفاهيمي "**لابن سينا**" الذي توسع في تحديد المتشابه في لفظ 'الهوية' وفي تبيان مقصد اتجاهات المدارس الفكرية، فسنجده يذكر أن الوجود الذي هو 'الهوية' كان في تصور الحكماء يدل على تصورين؛ الأول: الوجود الذي يترادف مع الكون بفتح الكاف وسكون الواو الذي يعني: الحدوث، ومقابلة الزوال الذي يعني: الفساد، وكليهما يدخل في منظومة مفهوم الفُلك. أما التصور الآخر فهو يشير إلى أن الوجود الذي هو: الكون الحادث، والذي تولد من خروج القوة إلى الفعل، كانقلاب الماء إلى هواء؛ فصورة القوة كانت الماء، والذي خرج منها بالفعل هو الهواء، كذلك في تصور المتكلمين الكون مرادف للوجود. أما في تصور الأشاعرة فالوجود، والكون، والثبوت والتحقق ألفاظ مترادفة في حين أن المعتزلة يتصورون أن الثبوت أعم من الوجود، وأن الثبوت والتحقق في تصورهم مترادفان. أما الكون فهو مرادف للوجود. ويتبنى "**ابن سينا**" هذا الطرح قول الأشاعرة، الذي يشير إلى أن الوجود، والثبوت، والكون والتحقق، أسماء مترادفة على معنى واحد، ويضيف لها مفهوم المحصل.

وفي تصور "ابن سينا" فإن الهوية هي: أن يحصل للكثرة وجه وحدة 'تشخص' من وجه آخر في هذا العالم 'عالم الشهادة' الذي يعتبر نسبيا مقارنة بمفهوم الكون والفلك، الذي يضم في داخله عالم الغيب.

يضاف إلى أن "الفارابي" أرّخ لمعنى دلالة 'نحن'، حينما طرح سؤال من نحن؟ ذاكرا أنها الملة أي بعد أن حُددت الهوية بالوجود، بدأ التساؤل عما يحويه هذا الوجود، وما مكانة الإنسان، وتميزه في كتاب الكون، على الرغم من أن كتاب الوحي حدده بأنه: مستخلف لحمل الأمانة بتبليغ الرسالة التوحيدية وحدة شهود، ووحدة قيادة، ومهمته العمران، وطريقة الاستقامة، وميزانه العدل، ورباطه الاعتصام، وواجبه عبادة الله، وسبيله الجهاد. أما "ابن حزم" فألبس للذات خصوصية الغيرية في معتقدها وتراثها؛ حيث أوضح أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوية هي: 'كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه؛ إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما، دخل في الآخر'.

أما "ابن رشد" فقد قام حسب تصوره بالتفرقة بين الوجود والذات في كتابه 'ما بعد الطبيعة'؛ حيث حدد الهوية بأنها: الدلالة على معنى الوجود، وليس على معنى الذات.

ووفقا لتلك المعاني والاجتهادات، ولاسيما ما حدده "ابن رشد" من المعنى العام للهوية الذي هو "الوجود"، والمعنى الخاص لها الذي هو 'الموجود'، استنبط "أبو البقاء الحسيني الكوفي" من لفظ الهوية الذي حدده بالوجود في معناه 'العام' وعنى به لفظ التميز الخارجي، عند الناس، الجماعة والأمة، ثم خصص لفظ 'هو' للموجود في معناه 'الخاص' وأشار إلى لفظ التشخص الذاتي الداخلي، ومع هذا التحديد الداخلي والخارجي إلا أنه حدد معانيه في ثلاثة معان وهي: التشخص، الشخص نفسه، والوجود الخارجي 'التميز'. ويشير إلى: أن ما به الشيء 'هو هو' باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية، وقد يسمى ما به الشيء 'هو هو' ماهية إذا كان كليا، كماهية الإنسان ويسمى جزئيا بالهوية مثل: حقيقة زيد، ويعتبر في نفس السياق أن الهوية والماهية خصوصية بالعوارض الخارجية، وهي فاعلة للصفات الخارجية، وأيضا لأنها امتازت عن الأغيار.

هذا ما أمكن الحصول عليه من معان دلالية للهوية في كتب التراث أو المعاجم العربية مع العلم بأن "ابن منظور" في معجم لسان العرب، لم يتطرق إلا إلى 'التشبه، المماثلة، المحاكاة والتبعية، ...' والتي هي من عوارض الهوية، وسيأتي تفصيلها في الفقرة اللاحقة في تصور "ابن منظور".

ووفق ما تم طرحه سابقا، فإن السابقين اتفقوا في تحديد مفهوم الهوية على أنها الوجود، الذي يترادف مع الكون في تصور الحكماء، المتكلمين، الأشاعرة والمعتزلة، وهذا ما أوضحه "التهانوي" في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، من أن الوجود هو رؤية كونية كلية لعالمي الغيب والشهادة وهي التي تصدق على كثيرين، أي لا تصدق إلا على فرد واحد "هو خالق هذا الوجود 'الله' لأنه الذات الواحدة المطلقة المتفردة التي ليس كمثلها شيء في الصفات، والأسماء والنعوت، والمرتبة ... فسبحانه حاضر في الذهن، وهو يقع في الوجود المحض الذي لا يصح فيه عدم، ولا يشابه العدم من الغيبوبة والفناء.

ومن ذلك يستنتج "التهانوي"، أن الهوية هي الوجود المحض، الصريح، المستوعب لكل كمال وجودي وشهودي حادث، في حين أن الموجود هو ذات الإنسان التي تتشخص داخليا وتتميز خارجيا. وهذا الوجود الكوني الذي هو رؤية كونية كلية تنعكس على الوجود الذي هو الإنسان وغيره من الأنعام كانعكاس الإنسانية والوطنية على المواطنة؛ ف 'هو' الموجود جزء من "الوجود" الذي هو هوية. وهذا الموجود 'الناس، أو الجماعة، أو الدولة، أو الأمة" يتشخص داخليا بالفطرة الإسلامية، وبحمل الأمانة، ونفخة الروح، وسجود الملائكة له، وتعليمه الأسماء.... ويتميز خارجيا بوحدة الشهود ووحدة القيادة ... وهذا التشخص الداخلي هو انعكاس للرؤية الكونية الإعتقادية التوحيدية، التي يؤمن بخصوصيتها شخص، أو مجموع في هذا الكون،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي التي تولد منها التمييز "الخارجي'، الذي هو وصف إضافي نسبي، يتحقق بالمقارنة مع الغير، أو الآخر الذي تتصف به أمة عن الأمم الأخرى، كتميز الأمة الإسلامية بالإسلام، وتميز الرسول بأنه الخاتم... أو وصف خارجي عام في نطاق عالم الشهادة تتميز به أغلب الأمم، أو تسعى لتتميز به، كالتميز بالمكانة الاجتماعية حضارة، تاريخ، قيم، تراث... أو التميز بتطبيق المواطنة، وحقوق الإنسان، والشرعية والمشروعية في الحكم، فضلا عن تميز الدول بالاستقلال والسيادة. يضاف إلى ذلك ما يتميز به الأفراد من سمات عن بعضهم البعض: الاسم، والجنسية، والسن والحالة العائلية، والمهنة.[1]

الهوية في معناه المجرد هي جملة علامات وخصائص من أجناس مختلفة، تستقل بها الذات عن الآخر فبغياب هذه العلامات والخصائص تغيب الذات وتذوب في الآخر، وبحضورها تحضر.

أما في دائرة المعرف الدولية للعلوم الاجتماعية يشير مفهوم الهوية إلى كثير من المضامين الذاتية_الشعورية، حول الوجود المتصل بالهوية النفسية المتماسكة، والتي تؤكد على الكثير من السمات الذاتية والموضوعية الفردية والجماعية.

كما نُظر إلى الهوية على أنها 'حقيقة الشيء أو الشخص المطلق التي تشتمل على صفاته الجوهرية وتميزه عن غيره، وأنها القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات الثعامة التي تميز حضارة أمة ما عن غيرها من الأمم وتجعل للشخصية القومية لهذه الأمة طابعا تتميز به عن غيرها من الأمم تستمده من الدين واللغة والتاريخ والتراث المشترك، ووحدة الأمل أو المصير – أو ما يعرف بالرسالة الإنسانية – والوحدة السياسية والبيئية لهذه الأمة. كما نظر إليها على أنها "ثوابت الشيء التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلى مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة' [2].

2. **التحديد اللغوي والاصطلاحي للهوية.**

أ. **التحديد اللغوي للهوية:** تستعمل كلمة الهوية في الأدبيات العربية المعاصرة مطابقة لكلمة Identity في اللغة الإنجليزية وIdentité وكلاهما مستمد من الأصل اللاتيني لكلمة Identitas أو Identatis والتي تعني كل منهما: "نفسه أو عينه" وهذا المعنى يؤكد على درجة الاشتراك في التشابه التام أو التفرد عن الآخرين في نطاق خاص أو غرض محدد. ففي اللغة الفرنسية يستعمل مصطلح Identité للدلالة على مجموع الصفات والميزات التي تجعل من شخص ما شخصا متعينا. ووفق معجم –**لالاند الفرنسي**– فإن الهوية تدل على الميزة الثابتة في الذات، إنها ميزة ما هو متماثل سواء تعلق بما تقيمه الذات من علاقة مع ذاتها، أو مع الواقع على اختلاف أشكاله.

[1] محمد، علي الطنازفتي (2014)، **الهوية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر بين سيد قطب وعلي شريعتي**: ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص ص 43-53.

[2] عصام، محمد عبد الشافي (2003)، **الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي (1990-2000)** :(رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مصر، ص 57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي اللغة الإنجليزية فالمصطلح يعني الشيء نفسه أو الشيء عينه، وفي اللغات الثلاث يستخدم لفظ Idem أو Id للإشارة لشيء محدد، بمعنى هو ذاته. فكان "Grodbeck جرودباك" أول من استعمل "Id أو Soi" كمصطلح للتحليل النفسي ليدل به على أمر غير شخصي في الطبيعة الإنسانية.

أما في اللغة العربية، الهوية هي مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف 'ال' ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة وعلامة التأنيث 'ة'. وحسب ما جاء في لسان العرب لابن منظور، الهوية من هوى يهوى هوة، والهوية تصغيره لهوة. وقيل الهوية بئر بعيدة الهواة. وفي قراءة للباحث التونسي عبد الناصر عبد اللاوي لهذا التعريف يقول: 'هذا ما يبرر الحضور المكثف للهوية في كل الأزمنة،... وما يجعلها أفقا ثريا يستجلي إنجازات الإنسان عبر صيرورة الفكر وترحله الإبستيمي'.

أما في العصور الإسلامية والمعاجم العربية، نجد أن الهوية مفهوم يعني حقيقة الشيء أو الشخص الذي يميزه عن غيره، وعند ابن رشد تطلق بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم موجود، وعند "الفارابي" هوية الشيء هي: 'عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد الذي لا يقع فيه إشراك'. لكن "الجرجاني" نزع اللبس وبعض الغموض عن التعريفات السابقة في تمييزه بين الماهية، الهوية، الذات الحقيقة والجوهر فيقول: 'إن الأمر المتعلق من حيث ما هو مقول جواب ما هو ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية، ومن حيث حمل اللوازم له يسمى ذاتا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولا، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهرا'.

فالمفهوم اللغوي للهوية الذي يمكنه استخلاصه من جملة التعاريف المذكورة سابقا، هو أن الهوية هي التفرد وعدم الاشتراك بأي خاصية لشخص أو لشيء، مع شخص أو شيء آخر، وهذا التفرد هو الذي يجعل من صاحبه ذو ميزات خاصة دون أن يقع اللبس مع شخص آخر.

ب. التحديد الاصطلاحي للهوية: تقول هويدا عدلي: 'إن الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية – على وجه الخصوص – فإنه يتعامل مع مفهوم قلق من الناحية النظرية، يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات، حيث أنه من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكة نظرا، لما يثيره من إشكاليات عديدة'.[1]

كما يعد مفهوم الهوية من المفاهيم الخلافية بين الباحثين، ومن مرحلة إلى أخرى، وتستند مختلف التعريفات إلى مرجعيات متعددة، خاصة بعدما أقتحم المفهوم جميع مجالات العلوم الإنسانية، وأصبح في القرن العشرين (20) ذا مكانة متميزة في تلك العلوم حتى صارت له تطبيقات في مجال العلاج النفسي وفي البيداغوجيا. وما زاد من درجة الاختلاف هي حداثة استخدامه في الدراسات الأكاديمية والإديولوجيتية القابلة للتناول من عدة زوايا، فهو مصطلح يتحدد بناء على الدلالة اللغوية الفلسفية، السوسيولوجية والتاريخية له. لذا نجد إن مصطلح الهوية قد فرض نفسه في الفكر الفلسفي عامة، والفكر الفلسفي العربي على وجه

[1] نور مسيهر العاني خليل (2009)، **الهوية الإسلامية من زمن العولمة الثقافية**، ط1، العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص ص 39-45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخصوص، فنجده في المستوى الأول استعمل المصطلح في الإرث الفلسفي الأرسطي بمعنى الوجود، وفي المستوى الثاني دل المفهوم على ما به يكون الشيء هو نفسه.

إن الهوية هي المسألة الأساسية في الفلسفة منذ قال "سقراط": اعرف نفسك بنفسك وصولا إلى "فرويد" ومرورا بالعديد من المعلمين والباحثين الآخرين.

إذ يرتبط المفهوم الاصطلاحي للهوية بتعارف جماعة معينة، على أنها مجموعة متجانسة، اثنيا أو محليا، مهنيا، دينيا، أو قوميا. وهي الوعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي ويمكن أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم، وتدفعهم إلى العمل مع في تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعهم في التاريخ. وفي التعريف إشارة لمحددات الهوية، المتمثلة في: "الوعي بالذات والمصير التاريخي الواحد، والهدف المشترك". من جهة، وإشارة إلى أهداف الهوية من جهة أخرى المتمثلة في: "الدفاعية للعمل، تثبيت الوجود، المحافظة على الإرث التاريخي، وتحسين الوضع في التاريخ". كما أن التعريف السابق تأكد على عدم وجود جماعة بشرية دون أن تكون لها فلسفتها الخاصة وقواعدها ومعاييرها، ولذلك لا تستطيع أن تعيش غير مكترثة بما يحيط بها من جماعات تختلف عنها في القيم والتقاليد، لأنها تعتقد أن تلك الجماعات المغايرة تمثل تهديدا لمجتمعها. والهوية هي ذلك التماثل والاختلاف مع الآخرين في آن واحد، وهذا ما يؤكد عليه السياسي البريطاني الأسبق "ادموند بورك Burk Edmand" في قوله: 'الهوية هي ما تمثل في درجة الترابط الوثيق بين مجموعة الأفراد الذين يحملون نفس القدرات، كجزء من النظام الطبيعي من جهة وترابطهم من جهة أخرى، مع من يختلفون معهم اكتمالا لحياة المرء'. وهذا الاختلاف أو التماثل نابع من أنماط الحياة المختلفة، الذي يتكون هو الأخر من عنصريين أساسيين هما:

- الطبيعي أو الفطري، لا يتغير من مكان لآخر.
- الإتفاقي أو العرف أو العادة، يتغير من مكان لآخر، لا يمكن من خلاله أن يقوم نمط مجتمعي بمعايير نابعة من عرف أو اتفاق نمط مجتمعي آخر.

الهوية بشكل عام، تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم. وكثيرا ما يتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها، مثل الجنس الطبقة أو الاثنية... .

فالتعاريف السابقة، تجعل من الهوية المحدد الذي يمكن للفرد من خلاله أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة، التي يتماثل مع أفرادها باعتباره عضوا فيها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرين ممن يختلفون معه. وهذا التشابه والاختلاف ناتج عن جملة من العوامل، إما طبيعية مفروضة على الأفراد، أو مكتسبة من خلال مراحل حياتهم.

ففي تعريف آخر يرى في الهوية تلك الطرق المرجعية التي يتخذها الأفراد والجماعات، والتي تميزهم عن الآخرين في علاقاتهم الاجتماعية. أو هي طرق تعرف الأشخاص والجماعات على أنفسهم من خلال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أساس العرق، الإثنية، الدين، اللغة والثقافة. وفي التعريف تصريح ضمني لأنواع الهوية المتمثلة في: العرق، الإثنية، الدين، اللغة والثقافة.

بالرغم من صعوبة التحديد الدقيق لمصطلح الهوية، إلا أنه يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات مما سبق، موضحة فيما يلي:

الهوية تعكس تماثلا واختلافا في آن واحد:

- يتماثل مع أشخاص معينين آخرين، أي يشترك في صفات معينة مع شرائح اجتماعية معينة.
- لا يشبه أي شخص آخر أي له شخصية خاصة به تجعل منه متفردا.

الهوية إذن؛ هي عبارة عن تأكيد للتماثل داخل الجماعة والاختلاف خارجها، ويحظى الأفراد بهويات مختلفة ومتعددة، بعضها اختياري مثل العقيدة وبعضها الآخر مفروض عليه مثل السلالة والجنس. كما أن الهوية الفردية والهوية الاجتماعية في علاقة تفاعلية بحيث أن الفرد هو المكون الأساسي للهوية الاجتماعية، في حين أن هذه الأخيرة هي التي تبلور هوية الفرد وتوجهها، ويتسم محتوى هوية الجماعة بأنها بناء اجتماعي، وأنها الشعور بالانتماء إلى جماعة والإحساس الإيجابي نحوها وهذا الانتماء إنما يتحكمان فيه حافزان يتمثلان في:

- الحاجة إلى الانتماء والتعاون مع الآخر الذي يحمل نفس التوجهات والمعتقدات.
- الحاجة إلى التميز والاختلاف عن الآخر ممن لا يتماثل معه[1].

ثانيا: أنواع الهوية

ولّد الوزن النسبي لهذه المكونات في تشكيل الهوية أنواعا متعددة من الهويات، حيث يمكن التمييز بين أنواع الهوية استنادا لعدة عوامل، يتمثل العامل الأول في العنصر الأكثر تأثيرا في تكوين الهوية: هل هو الدين أم التاريخ أم اللغة؟ حيث يتم التمييز بين الهوية الدينية، مثل الهوية الإسلامية وبين الهوية اللغوية مثل الهوية العربية، والهوية الثقافية، والهوية الإثنية، مثل الهوية الكردية، والهوية العرقية.

1. **الهوية الثقافية:** التطرق للهوية إلى الهوية الثقافية تجدر الإشارة إلى مفهوم الثقافة، يعرفها تايلور على أنها 'الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات، وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد من مجتمع" وبذلك فإن الهوية الثقافية لشعب ما، تتحدد على أساس ثقافته التي تعتبر المرجعية الأساسية للتمييز بين المجتمعات، ولقد أدى تبني الثقافة للتمييز بين المجتمعات، إلى ظهور الثقافوية لدى الأنتروبولوجيين وعلماء الإجتماع أمثال: "كاردينر" و"مالكليلاند" و"لينتون" و"بنديكت" ابتداءً من أواخر القرن 19.

[1] فارس، لونيس (2013/2012)، **سياسات الهوية لدى الأحزاب السياسية في الجزائر (1989-2012):** (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية)، جامعة الدكتور الطاهر مولاي: كلية الحقوق والعلوم السياسية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. **الهوية التاريخية:** عندما تجتمع الأحداث التاريخية في صنع ملحمة شعب ما أو قوم، فإنهم يتشابهون في مرجعيتهم التاريخية التي تميزهم عن غيرهم، وقد تندرج فيها عدة شعوب، مثلما كان الحال في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث ظهرت موجهة التحرر في دول إفريقيا وأسيا وظهر تكتل للدول الأفروأسيوية تحت نطاق التحرر في دول أفريقيا وأسيا تحت نطاق التحرر ورميا إلى التموقع في إطار الثنائية القطبية، باسم مجموعة 77 وكذلك دول عدم الانحياز وفيما بعد فتحت الباب لظهور العلاقات جنوب جنوب.
3. **الهوية السياسية:** بالرغم من أن الاتجاه الثقافوي، هو أكثر بروزا لدى علماء الأنتروبولوجيا للتمييز بين المجتمعات إلا أن الهوية السياسية هي التي أصبحت تميز المجتمعات وتفصل بين الدول، من خلال ضمها شعبا أو أمة في حدود جغرافية معينة لقد ظهرت الهوية السياسية، بظهور القوميات الأوروبية في القرن الثامن عشر، فتوحدت الجمهوريات الفرنسية والايطالية كذلك وتقوم الهوية السياسية على مجموعة من المقومات وتتمثل في:
   - المجال الجغرافي المشترك.
   - التاريخ المشترك.
   - ثقافة شعبية مشتركة.
   - لغة مشتركة.
   - منظومة حقوق وواجبات مشتركة.
   - اقتصاد مشترك.
4. **الهوية الدينية:** يطلق عليها الهوية الدينية أو الهوية العقائدية وظهرت بظهور الأديان والرسل، ولكنها تجلت أكثر بمجيء الإسلام، فجعل الله الدين رابطة قوية، بل هي أقوى من الروابط الأخرى بقواه {إنما المؤمنون إخوة} وقوله {وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون} ولقد جمع الدين الإسلامي عبر التاريخ في الدول التي قامت على أنقاض الخلافة الراشدة بين تركيبات حضارية متنوعة، كالحضارة الفارسية والعربية والأمازيغية والأوروبية..[1] .

وينصرف العامل الثاني إلى حدود تأثير الهوية (دائرة الهوية)، وهنا يتم التمييز بين الهوية الإثنية أي التي تقتصر على جماعة إثنية مثل الشيعة والسنة، وهوية الدولة، أو الهوية الوطنية، مثل الهوية المصرية والهوية الفرنسية، والهويات العابرة للدول، مثل الهوية الإسلامية، والهوية العربية....

ويتمثل العالم الثالث في كيفية تعريف الهوية للذات في مواجهة الآخر، المهم The Important other، وقد ميز "**ألكسندر ونت**" استنادا لهذا العامل بين نوعين من الهوية، يمثل كل منها طرفي خط متصل يتحرك فيه الفاعل الدولي: يمثل النوع الأول في التعريف النسبي للهوية والمتركز حول الذات Egoistic، ويتمثل النوع الثاني في الهوية الجماعية Collective.

[1] زيان عبد الوهاب: **الجزائر والهوية الأمازيغية**، مجلة معارف، (جوان 2010)، ص ص 300-301.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. الهوية الشخصية (الذاتية): هي مجموع علامات أو سمات نفسية وجسدية خاصة بشخص بعينه عن غيره من أبناء جنسه، كما أنها مجموعة قرائن قابلة للتجربة والقياس تحدد هوية كل فرد من الناس[1]. بحيث أن لكل إنسان من ملايير البشر أربع خصائص تتكامل فيما بينها لتعطيه سمة خاصة به وحده دون غيره هي:

أ. **بصمات الأصابع:** التي يشير إليها الخالق عز وجل بقوله: {بلا قادرين على أن نسوي بنانه}.

ب. البصمات الصوتية: التي تميز صوت كل شخص عن غيره، إلى درجة أن التحليل المخبري يثبت علميا انتساب الصوت إلى صاحبه أو نفيه عنه بصفة قطعية.

ت. بصمات العين: ومن هذه الخصائص كلها جاء ما يسمى حديثا بجواز السفر البيومتري.

ث. الشفرة الوراثية: المكتشفة حديثا داخل كل خلية في جسم الإنسان، والتي تجعله يختلف بها عن أبيه وابنه وكل أسلافه وأخلافه في رقمه.

فبهذه القرائن الخاضعة للتجربة والقياس تحدد هوية كل فرد من الناس بين ملايير البشر من مختلف الأجناس[2].

وبالتالي هي ما يعرفها أي فرد حول من يكون، نسبة إلى الخصائص والميزات التي ينفرد بها عن الأفراد الآخرين وأن يفصل هويته عنهم. فالفرد يبقى دوما في صراع المكانة الاجتماعية، أي ذلك الصراع الفردي من اجل أن يتقبله المجتمع ويتمكن من تحقيق وجوده الاجتماعي، فالهوية الشخصية إذا هي ذلك الوعاء المتضمن لنسق المعاني في لحظة معينة من تفاعلات الفرد التي تمكنه من ضبط علاقته بذاته، وبالموضوعات الخارجية سواء كانت اجتماعية أو غير اجتماعية وهيكلتها على ضوء ذلك. وهي محصلة مختلف المعاني التي يكونها الفرد عن ذاته وعن الموضوعات الأخرى انطلاقا من خبراته البيوغرافية واللحظاوية التي ينطلق منها:

- إقامة علاقات تفاعلية مع الآخرين على أن ذاته تختلف عنهم.
- القيام بأعماله وبناء مشاريعه.

كما تتميز فئات المجتمع بخاصيتين يعرفون من خلالها بأنفسهم، والتي تجعلهم متميزين عن غيرهم:

الأولى: يعرفون أنفسهم بالأدوار الصريحة في الجماعات، وهو ما يتطابق مع شخصيات محددة وليس الفئات.

الثانية: الفئات الاجتماعية والتي تفهم من خلال المصطلحات المدروسة مثل المعتقدات الرغبة، التعهدات الفكرية، الخصائص الجسدية، وغيرها من العناصر التي تفهم من خلالها الفئات الاجتماعية.

[1] لونيس فارس، مرجع سبق ذكره، ص 22.
[2] أحمد بن النعمان، **الوحدة الوطنية في وحدة الدين**، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص ص 23-24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالهوية الفردية هي إذا مما يميز الفرد عن غيره من الأفراد، ويعرف الآخرين به، تلك التي تحدد اتجاهه ومسار فكره وعقيدته وانتماءاته، ومثل هذه الهوية هي التي تجمعه بغيره من الذين يشتركون معه في الاتجاه والفكر والعقيدة والانتماءات، وتميزه في الوقت نفسه بتلك الفروق أو التضاريس التي يشترك معه فيها غيره لتشكل الهوية الجماعية.

6. **الهوية الجماعية (الاجتماعية):** تؤكد مختلف الدراسات المتمحورة حول الهوية على أهمية تناول ووصف تصرفات الأشخاص الجماعية أكثر من الفردية لأسباب عديدة، يأتي في مقدمتها أن الحركة الجماعية لها سماتها التي تختلف عن الحركات الفردية، وغالبا ما يمكن فهم الفرد فقط من خلال فهم الجماعة التي ينتمي إليها والحركة الجماعية تتكون من الأفراد الذين يصنعون ويحققون من خلال أعمالهم وتصرفاتهم المظهر العام لأنفسهم وللآخرين. كما إن الفرد لا يمكن له أن يعرف نفسه ما لم يكن مدركا للآخرين أمثاله فالشعور بالذوات الأخرى ضروري للشعور بالذات أو الوعي بالذات. لذلك عليه أن يثبت ذاته ويضع لها مكانا في أوساط الجماعات، وبالتالي يكون أمام تحديد لهويته من خلال معرفته لنفسه بين الآخرين، ورؤيته لذاته كعضو في الجماعة الاجتماعية. فالفرد الذي مماثلة للذات يصنف في الجماعة، ومن له اختلاف في الذات يصنف خارج الجماعة.

ويبقى أنه لابد من الإشارة إلى صعوبة الوصف بالنسبة للهوية الاجتماعية، بالمقارنة مع الهوية الفردية، وذلك بسبب أنها تنبثق من السياق، وعلى سبيل المثال فإن السؤال من أنت؟ قد يعني القليل بالمقارنة مع أسئلة أخرى، مثل السؤال: إلى من تنتمي؟ وغيها من الأسئلة التي تدور حول مصادر التاريخ المشترك التي تبدو عليه في الشكل الخارجي المرتبط بالسياق.[1]

إن الهوية كقضية بالغة التعقيد، وإن كان لا يوجد لأي فرد أو مجتمع هوية واحدة تستمر ولا تتحول، تثبت وتتجانس دون تنوع في داخلها، فإن القول بأن هناك هوية واحدة، لا يمثل وصفا للفرد أو المجتمع بل مشروعا سياسيا يهدف إلى الاستحواذ على هذا المجتمع باسم الهوية، وهو ما يثير إشكالية أو أزمة الهوية Identity crisis في هذا المجتمع.

فالبحث عن الهوية يمثل –في جانب منه– معيارا على فشل المجتمع في التغليب على، التصدي للتحديات الحقيقية التي تواجهه، وهو ما يشكل أزمة في هوية هذا المجتمع، وهذه الأزمة تأخذ عددا من الأبعاد والسمات، ومن بينها أنها تنجم عن التحول في الأسس التي تقوم عليها هوية المجتمع، عندما يكتشف أفراد هذا المجتمع أن الأمور التي يتقبلونها كبديهيات لم تعد مقبولة في إطار ظروف تاريخية جديدة.

كما أنها تنجم عن تعدد الهويات داخل المجتمع ففي المجتمعات القديمة تنتج هذه الأزمة عن تنشيط الهويات الكامنة وتعارضها وتصارعها، وفي المجتمعات الحديثة تنتج عن وقوف انتماءات الأفراد عند

[1] لونيس فارس، مرجع سبق ذكره، ص ص 22-24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستوى الجزئي الضيق القبلي أو القطري أو الطائفي، الذي يمثل الانتماء الأول أو الأساسي لهم على حساب الانتماء الموحد للمجتمع.

كما تثار هذه الأزمة في المجتمعات التي تمر بمرحلة انتقالية، يغيب فيها الاتفاق العام حول الأسس التي يقوم عليها تنظيمها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، في الوقت الذي يشهد فيه هذا المجتمع العديد من التحولات التي يترتب عليها تغيرات واسعة في أنماط القيم والسلوك السائدة، وتزداد خطورتها في المجتمعات التي تعاني من انقسامات سلالية ودينية ولغوية.

وتتعدد المظاهر التي يمكن أن تنجم عن أزمة الهوية في المجتمعات المختلفة ومن ذلك: بحث الأفراد عن الهويات غير المشتركة أو هويات أوسع، وهو مستوى لا يحكم العلاقات الاجتماعية اليومية ويقوم على انتماءات ضيقة مثل الأقلية أو القبلية أو الطائفية، وهنا تسقط مفاهيم حاكمة في المجتمع مثل المواطنة والمشاركة السياسية، مع بروز نوع من الانغلاق الثقافي وانحصار تفكير المرء في ذاته، يمكن أن يؤدي إلى خطر الوقوع ضحية الثقافة القوية وذلك في شكل الإنكار وعدم الاعتراف، وكذلك توليد حالة من عدم الثقة بالنفس وعدم القدرة على إنتاج القيم والمعاني والأفكار والأنماط السلوكية التي يحتاج إليها المجتمع، والاعتماد في ذلك على ثقافة أخرى مسيطرة، وظهور حالة من حالات التبعية الثقافية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق تعتبر الهوية مجموع القيم والصفات المشتركة، التي تتماثل وتتقاسمها مجموعة من البشر فيما بينها، كالتاريخ، اللغة والثقافة...، وتختلف بهم عن الآخر، مما تميزهم عن غيرهم. إذن الهوية؛ هي وعي الإنسان وإحساسه بذاته وانتماءه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية، مجتمعا أو أمة أو طائفة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام.

وقد تتطور الهوية بالانفتاح على الغير، وقد تنكمش، تتحدد أو تتقلص، تنحصر أو تنتشر، لكنها دون أدنى شك تغتني بتجارب الناس ومعاناتهم وانتصاراتهم وآمالهم، وهذه المسألة تتأثر سلبا وإيجابا بالعلاقة مع الآخر، فهي عملية إبداعية مستمرة ومفتوحة.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن النعمان، **الوحدة الوطنية في وحدة الدين**، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
2. نور مسيهر العاني خليل (2009)،**الهوية الإسلامية من زمن العولمة الثقافية**، ط1، العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
3. محمد علي الطنازفتي، (2014)، **الهوية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر بين سيد قطب وعلي شريعتي**: ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. عصام محمد عبد الشافي(2003)، **الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي (1990-2000)** :(رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مصر.

5. فارس لونيس (2013/2012)، **سياسات الهوية لدى الأحزاب السياسية في الجزائر (1989-2012)**: (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية)، جامعة الدكتور الطاهر مولاي: كلية الحقوق والعلوم السياسية.

6. زيان عبد الوهاب: **الجزائر والهوية الأمازيغية**، مجلة معارف، (جوان 2010)، ص ص 300-301.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com